العرب

مجلة تعنى بتاريخ العرب وآدابهم وتراثهم الفكري

صاحبها ورئيس تحريرها: حمد الجاسر

الاشتراك السنوي
١٠٠ ريال للأفراد و ٢٠٠
للهيئات والدوائر الحكومية
المراسلات باسم رئيس التحرير

المنهل
الرياض: حي الورود - شارع حمد الجاسر
ص. ب ١٣٧ الرمز ١١٤١١
هاتف وفاكس ٤٦٩١٢٢٣
الإعلانات يتفق بشأنها مع الإدارة

ج ٧، ٨ س ٣٣ - محرم وصفر، سنة ١٤١٩هـ - أيار، حزيران (مايو، يونيو) سنة ١٩٩٨م

التصحيف في أسماء المواضع
الواردة في الأخبار والأشعار
(٢٠)

دُمَاح: (رُمَاح)

قال ياقوت في حرف الدال من «معجم البلدان»: (دُمَاح: موضعٌ في قول جَرِيْر:

تقـول العـاذِلاتُ: عَـلاكَ شَيْبٌ ... أهَـذَا الشَّيْبُ يمنعُني مِـرَاحِي؟
يُكَلِّفِنُي فُـؤَادي مِنْ هَـوَاه ... ظَعَـائِنَ يَجْتَـزِعْـنَ عَلَى دُمَـاح
ظَعَـائِنَ لـم يَـدِنَّ مع النَّصَـارى ... وَلَا يَـدْرِيْنَ مـا سَمَكُ الْقَـراح)

لعل صاحب «المعجم» - رحمه الله - نقل الشِّعْر عن ديوانٍ لجرير غير مُوَثَّق بالنقل والرواية فَصُحِّف اسم (رُمَاح) بكتابته بالدال (دُمَاح).

والغريب أنه أَوْرَدَ هذا الاسم مُصَحَّفًا أيضًا (رُمَاخ) كما سيأتي.

وفي آخر كلامه قال: والصحيح أن رُمَاح - بالحاء - موضع لاشكَّ فيه لقول جرير، ثم أورد بيته:

يُكَلِّفُنِي فُـؤَادِي مِنْ هَـوَاهُ ... ظَعَـائِنَ يَجْتَـزِعْنَ عَلَى رُمَـاح

وقد نقل كَلَام ابن السِّكِّيْت: رُماحُ نَقًا بِالدَّهْنَاء، ويقال: نَقَا آخر بِرَمْل الوَرِكَة وهو عن يسار أُضَاخ من شَرْقِيّها، كذا نقل، ولكنه لما صحح الاسم لم يورد تعريفًا. وقد أورد شواهد شعرية قَبل قوله: (والصحيح أن رماحَ بالحاء المهملة).

أما البكريُّ فقال: رُماح بضم أوله وبالحاء المهملة، ويقال أيضًا بالخاء المعجمة على وزن فُعَال، وأَبُو بَكرٍ يرى أَنَّه بالخاءِ، لأَنَّهُ لم يذْكرْه في حرف الحاء.

إمارة بني مسالة

(إمارة إباضية منسية)

تعد الدولة الرستمية (١٦٠ - ٢٩٦هـ) - (٧٧٦ - ٩٠٩م) أول كيان سياسي يؤسس في المغرب الأوسط. ورغم أن هذه الدولة قد حظيت بدراسات عديدة في المشرق والمغرب[١] إلا أنه تبقى هناك بعض القضايا التاريخية تحتاج إلى دراسات معمَّقة. ومن بين هذه القضايا الافتراق الثاني الذي تزعمه محمد بن مسالة. فهل كان هذا الافتراق مجرد عصيان، وخروج عن الإمام الرستمي أو هو بداية لتأسيس دولة وإمارة مستقلة تنافس الرستميين رغم وحدة المذهب؟

لقد استطاع عبدالرحمن بن رستم أن يؤسس دولة إباضية اتخذت مدينة (تاهرت)[٢] عاصمة لها سنة ١٦٠هـ (٧٧٦م)، وأن يصبح إمامًا للظهور[٣] على كافة إباضية بلاد المغرب. وبلغت الدولة أوج عظمتها في عهد ابنه عبدالوهاب (١٦٨ - ٢٠٨هـ) - (٧٨٤ - ٨٢٣م). فقد نجح هذا الإمام في نهاية القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) وبداية القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) أن يجعل كافة قبائل البربر الإباضية خاضعة لحكمه. ويعتقد أن ثورة صالح بن نصير الإباضي (١٧١ - ٧٨٧م) كان هدفها ضم بلاد إفريقية إلى الدولة الرستمية. وأدَّى فشل هذه الثورة إلى لجوء عبدالوهاب إلى عقد الصلح مع روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب الذي خلف داوود بن يزيد بن حاتم على ولاية إفريقية كممثل للخلافة العباسية في بلاد المغرب. وبدأت المفاوضات بين (تاهرت) و (القيروان) مباشرة بعد فشل هذه الثورة، وانتهاء حصار عبدالوهاب لمدينة (طرابلس). وتم الاتفاق بين ولي العهد الأغلبي عبدالله بن إبراهيم الذي خلف والده وبين إمام (تاهرت) على أن تظل المدينة وأقاليمها الساحلية تحت حكم الأغالبة، وأن تصير الأقاليم الداخلية الأخرى إلى حكم عبدالوهاب.

وعلى الرغم من ذالك فقد ظل أمراء بني الأغلب يثيرون المشاكل لقبائل البربر الإباضية لمدة ربع قرن تقريبًا. وكانت الدولة الرستمية قد بلغت أوج عظمتها في عهد

الإمام عبدالوهاب. يقول ابن الصغير: (كان عبدالوهاب هذا قد اجتمع له من أمر الإباضية وغيرهم مالم يجتمع للإباضية قبله، ودَانَ له مالم يدن لغيره، واجتمع له من الجيوش والحفدة ما لم يجتمع لأحد من قبله. ولقد حكى لي جماعة من الناس أنه قد بلغت سمعته إلى أن حاصر مدينة طرابلس وملا المغرب بأسره إلى مدينة يقال لها (تلمسان)[٤] فلم يزل كذالك وعلى ذالك وأمور الناس مجتمعة، وكلمتهم واحدة لا خارج عليها ولا طاعن)[٥].

وكان مركز الدولة يتكون من (تاهرت) والأحياء القريبة منها ومنطقة سرسو. وكانت تسكن هذه الأحياء قبائل إباضية مثل لماية[٦] مطماطة[٧] ولواتة[٨] أما عن حدود الدولة من الشمال فكان يحدها البحر الأبيض المتوسط قرب مدينة (مستغانم) الحالية. وفي الجنوب أمتد نفوذها إلى (وادي أريغ)[٩] و (وارجلان)[١٠]، بالإضافة إلى ممر يتكون من جزء من الحضنة والزاب[١١] وجبل أوراس[١٢] تسكنه قبائل إباضية تربط الجهات الغربية للدولة بأحياء الإباضية في جنوب أفريقية وطرابلس. وتذكر المصادر التاريخية أن هذه المناطق كانت خاضعة لسلطة الإمام عبدالوهاب مثل: قسطيلية[١٣] وقفصة[١٤] وجبل نفوسة[١٥] وسرت[١٦].

كما كانت قبيلة هَوَّارة[١٧] القاطنة بين سرت وجبل نفوسة خاضعة للإمامة الرستمية. لذالك نجد أن الإمام عبدالوهاب قدّم لها يَدَ المساعدة أثناء ثورتها على الأمير الأغلبي في (طرابلس) سنة ١٩٦هـ - (٨١١م)[١٨]. وتشير المصادر إلى وقوع عدة خلافات وافتراقات مذهبية أثارت مشاكل للدولة خاصة في عهد عبدالوهاب مثل الافتراق الذي قام به النكارية[١٩] والواصلية[٢٠]. أما الافتراق الثالث فتزعمته قبيلة هوارة - موضوع الدراسة - والتي كون أفرادها إمارة في ضواحي (تاهرت) ووفق ما رواه ابن الصغير المالكي فإن مواطن هوارة كانت قرب (تاهرت) رفقة القبائل البربرية الاباضية الأخرى. ومن بين بطون هذه القبيلة بطن تزعمته أسرة تعرف بـ(الأوس). وعرف أفراد هذه الأسرة فيا بعد باسم (بنو مسالة). فقد طلب زعيم الأوس الزواج من امرأة من قبيلة (لواتة) النازلة قربهم. وكان أهل الفتاة قد وافقوا على

هذا الـزواج، لكن الإمام عبـدالوهـاب خشي من عـواقب هذه المصـاهرة. يذكـر ابن الصغيرأن بعض من كـان يناوِئ الأوس سعى إلى عبدالوهـاب وقال له: (إن فلانـًا قد خطب على نفسـه أوعلى ابنـه ابنة فـلان وقـد علمت مكـانه من قـومـه ومقـامه عنـد الخـاص و العام مـن الناس، وإني لا آمن أن يـزوجـه ابنتـه، فإذا زوجه إيـاهـا وقعت المصاهـرة، وإذا وقعت المصاهرة صـارت نسبة، وإذا انضمت قبيلة إلى قبيلـة ناوأك في البلد، ولكن أخطب إلى هـذا الرجل ابنته إمـا على نفسك أوعلى ابنك أو على من سوف يؤثرك عليه لسلطانك[٢١].

أخذ عبدالوهاب بنصيحة هذا الـرجل وطلـب يد الفتاة لنفسه، وحصـل على موافقة أهلهـا. فأدَّى هـذا التصـرف إلى غضب زعيم الأوس. وقـد عبـر عن سخطتـه قـائلًا: (عمل علي في جارية خطبتهـا ورضي إليَّ بتزويجها فانتزعهـا مني بسلطانه لا سألت بأرض هو)[٢٢] فانتقل رفقـة قبيلته ونزل في (وادي هـوارة) الذي يبعد بعشـرة أميال أو أكثر عن (تـاهرت) ورغم عـدم معرفتنا لهـذه المنطقة إلا أنهـا على الأرجح تقع قرب الشلف[٢٣]. ونشيـر هنا إلى أن بطـونا أخـرى من (هوارة) التحقت بـالأوس، وأعلنت الحـرب على الإمام الـرستمي. وخـرجت أول غـارة لهوارة فأصـابت رجـلًا قرب نهـر يسمى (نهر أبي سعيـد الله). فلما رأى الناس القتيل. وقـد استحلت أمواله كبَّـر القوم وتهيئوا للحرب. ولمـا بلغ الخبر إلى الأوس قاموا بتركيز قـواتهم على طول نهر يسمى (نهر أسلان)[٢٤]. وقامت معركة ضاريـة بين الجيشين أبلى فيها أفلح بن عبدالوهاب بلاء حسنًا حتى أن الإمام عبدالوهاب لمـا رأى ابنه يقاتل بقوة قال: (لقد استحق أفلح الإمامة)[٢٥]، فكان أول يوم عقدت له الإمامة.

وكان عدد القتلى في هذه المعركة ضخمًـا من الطرفين خاصة من جانب (هوارة) التي أدبر رجالها ولاذوا بالفرار إلى جبل (ينجان). ويبدو أن هذا الجبل يعرف كذالك باسم (تنجان) وهـو اسم لقبيلة زناتية تسكن جبل الونشريس. ويحتمل أنـه بعد هذه المعركة انفصل الأوس عن الدولـة الرستمية رغم الهزيمة التي مُنُوا بهـا. وكانت بداية للإمـارة التي أسسوهـا في عمق الدولـة أي قرب العـاصمة (تـاهرت). ولا يـذكر ابن

الصغير - للأسف - تاريخًا معينًا لموقعة نهر أسلان. ونعتقد أنها كانت على الأرجح في سنة ١٨٢هـ في الوقت الذي أصبح فيه أفلح بن عبدالوهاب شابًا يافعًا.

ولا نعرف الكثير عن هذه الإمارة في فترة حكم أفلح (٢٠٨هـ - ٢٥٨هـ) ولا في إمامة أبي بكر (٢٥٨هـ - ٢٦١هـ) الذي ثار عليه الناس، وانقسمت الدولة في عهده إلى شيع وأحزاب متناحرة، ونخلّى الأهالي عنه، فخرج بنو رستم من المدينة وتوزعوا في عدة أماكن وفر زعيم الحزب الرستمي الأمير محمد بن أفلح (أبو اليقظان) إلى مكان يسمى (أسكدال) يبعد بمسيرة يوم أو أزيد جنوب (تاهرت)[٢٦]، وهنا يظهر بنو مسالة من جديد، فابن الصغير يذكر أن محمد بن مسالة استولى على حاضرة الدولة أثناء فرار أبي بكر بن أفلح منها[٢٧]. ولا ندري كيف تم ذالك ولا التاريخ الذي تم فيه الاستيلاء نظرًا لسكوت المصادر. ويبدو من خلال حديث ابن الصغير أن المدينة استولت عليها (هوارة) ولواتة بطلب من الأحزاب المتنازعة. وقد عاد الهدوء إلى المدينة عندما تولى زعيم هوارة الإشراف على تسيير شؤونها، ولكن ذالك لم يعمر طويلًا إذ سرعان ما دب الخلاف بين لواتة وهوارة. يقول ابن الصغير: (لم تزل أمور الناس هادئة حتى وقع شيء بين هوارة ولواتة. وكانت لواتة إذ ذاك بالمدينة مع أهل المدينة، فتسلطت عليها هوارة بسلطانهم وأعانتها أهل المدينة. فلما رأت لواتة ذالك ظعنت عن المدينة، وخلت عنها ونزلت بحصنها المعروف بحصن لواتة، وأرسلت إلى أبي اليقظان فأنزلته في جوار منها على مسيرة أميال بموضع يقال له (تسلونت)[٢٨].

من خلال هذا النص يتبين أن الإمام الرستمي إحتمى بلواتة، ومن هنا نشأ تحالف ضد قبيلة هوارة وزعيمها محمد بن مسالة وضد الأهالي في (تاهرت) الذين ظلوا مخلصين لهذا الأمير لمدة طويلة. وإذا سايرنا رواية ابن الصغير فإن الحرب بين الطرفين دامت سبع سنوات، عجز فيها أبو اليقظان من القضاء على خصومه، مما جعله يستنجد بقبيلة نفوسة فتمكن بمؤازرتها من إخراجهم من المدينة. وإذا كان ابن الصغير لا يعطينا معلومات كافية عن موقع الإمارة ومناطق نفوذها فإن اليعقوبي يذكر

أن الإمارة كانت في أرباض (تاهرت)، وأنها كانت تتكون من مدينتين الأولى تسمى (يلل) والثانية تسمى (الجبل). يقول اليعقوبي: (ومن مدينة (تاهرت) وما يحوز عمل ابن أفلح الرستمي إلى مملكة رجل من هوارة يقال له ابن مسالة الاباضي إلا أنه مخالف لابن أفلح يحاربه، ومدينته التي يسكنها يقال لها (الجبل)، منها إلى مدينة (يلل) تقرب من البحر المالح مسيرة نصف يوم[٢٩] ويبدو أن المدينة المسماة اليوم (هلل) الواقعة جنوب شرق مدينة (مستغانم) الحالية، هي نفس المدينة التي أشار إليها اليعقوبي خاصة وأنها تبعد عن الجبل بحوالي ١٩ كيلًا. ويسمي البكري هذا الموقع بـ (قلعة هوارة) أو (تاسكدالت)[٣٠] ويصفها صاحب كتاب «الاستبصار» بقوله: (هي قلعة منيعة في جبل خصيب، وتحتها فحص طوله نحو أربعين ميلا، يخترقها نهر سيرات... وفحص سيرات يسكنه قبائل كثيرة من البربر (مطغرة) وغيرهم من قبائل زناتة)[٣١] وهذا الموضع أو الجبل هو جزء من سلسلة جبلية يسميه ابن خلدون (جبل هوارة) ويقع قرب نهر مينة[٣٢] ويبدو أن مدينة (الجبل) لم تكن وحدها تابعة للإمارة بل جبل هوارة كله. وهناك فرع من قبيلة هوارة كان يستوطن منطقة (سرسو) جنوب شرق منداس، على الحافة اليمنى لنهر مينة. ولا يستبعد أن يكون هذا الفرع الهواري خاضعًا هو الآخر للإمارة.

وخلاصة القول: فإن الثورة التي أشعل فتيلها ابن مسالة لم تكن مجرد خلاف مع الإمام الرستمي، كما تصوره المصادر الاباضية، إنما كان الهدف منها إنشاء إمارة هوارية مستقلة، والدليل على ذالك نستنتجه من حديث ابن الصغير المالكي المعاصر للدولة الرستمية، الذي قال بأن الدعوة والإمامة كلها صارت لأبي اليقظان[٣٣] والدعوة للأئمة وللخلفاء معروفة في التاريخ الإسلامي. ويضيف في موضع آخر قائلًا: (حمل أبو اليقظان الناس على الخيل، ودُعِيَ له بالإمارة والإمامة، وألغي ذكر أبي بكر ومحمد بن مسالة.)[٣٤] ومعنى هذا أن محمد بن مسالة كان أميرًا مستقلًا يدعى له على منابر المساجد.

جامعة باتنة: الجزائر: الدكتور مسعود مزهودي
أستاذ التاريخ الإسلامي بمعهد اللغة العربية وآدابها